

تظاهرات الذات بين الزّاهن السّياسي والمرجعيّات الثّقافيّة – قراءة في عنوان رواية "سأقذف نفسي أمامك" ل: ديهية لويز

Manifestations of the self between the current political and cultural references - A reading of the title of the novel "I Will Throw Myself in Front of You" by: Dehia Louise.

سناء بوختاش¹

¹ جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، sanasena40@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/26 تاريخ القبول: 2023/07/09 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص: تعدّ رواية "سأقذف نفسي أمامك" ل: ديهية لويز من الرّوايات التي طرقت أبواب المخطور واقتحمت فضاءات الهامش، وعملت على تقويض المركزيات، وبحث في أسئلة صعبة تتعلّق بالحياة والمرأة والوجود والتّاريخ، وعليه كان هدف الدّراسة هو استنطاق الهوية الثّقافيّة وتعرّية تحيّزاتها الأيديولوجيّة، والكشف عن الزّاهن السّياسي، وذلك من خلال تسليط الضوء على القراءة في العنوان "سأقذف نفسي أمامك" الذي وجدناه شفرة لغويّة اختارها الرّوائية ديهية لويز بذكاء لتفتح فحوى الرّواية فكان عنواننا موفقا إلى حد بعيد مع مضمون النّص وجسّد فعلا تظاهرات الذات بين الزّاهن السّياسي والمرجعيّات الثّقافيّة التي تمثّلها المتن.

كلمات مفتاحية: الذات؛ السياسة؛ المرجعيّات؛ الثّقافة؛ العنوان

Abstract:

The novel "I Will Throw Myself in Your way" by: Dihia Louis is one of the various novels that sought difficult questions about life, women position, and divinity. Therefore, the purpose of the study is to investigate cultural identity and abuse of power, this was done by focusing on interpreting the title which we found so much suitable and in harmony with the content of the text, it truly illustrated the cultural identity and the abuse of power.

Keywords: self; Politics; References; culture; title

المؤلف المرسل: سناء بوختاش، الإيميل: sanasena40@gmail.com

1. مقدمة:

اشتغلت الروايات المعاصرة منها التّسائيّة في متنّها على التّاريخ لتذهب إلى ما وراء التّاريخ من مستور لتعلنه أمام جمهور القراء، وفق منظور نقديّ ينحو إلى تقويض الخطاب التّاريخي الرسمي، فإذا كان من شأن الخطاب التّاريخي جعل المناطق خلفيّة لمسرح تجري عليه أفضع أنواع الممارسات من سلب الحرّيات وقتل وتشريد فإنّ خطاب ما بعد التّاريخ أنتج نوعاً من الكتابة هدفه الأوّل هو إعادة قراءة التّاريخ وتعريّة المسكوت عنه هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكشف عن أساليب التّعسف والخضوع والهيمنة المخترنة في التّاريخ، وفضح سياسة الآخر، في إطار خطاب مضادّ مهووس بالسؤال والشك والهدم.

وتعدّ رواية "سأقذف نفسي أمامك" ل: ديهية لويز من الروايات التي طرقت أبواب المخطور واقتحمت فضاءات الهامش، وعملت على تقويض المركزيّات، وبحث في أسئلة صعبة تتعلّق بالحياة والمرأة والوجود والتّاريخ التي مثّلت للعلاقة التّعسفيّة بين الذات والآخر داخل الوعي الجمعي للمجتمع الجزائري، وعليه كان هدف الدّراسة هو استنطاق الهوية التّقافيّة وتعريّة تحيّزاتها الأيديولوجيّة والكشف عن الرّاهن السّياسي، فديهيّة لويز عندما كتبت روايتها فهي كتبتها من موقع مضاعف، يمتزج فيه التّخيليّ بالاجتماعيّ، والذاتيّ بالعام، والشخصيّ بالسّياسيّ.

ويعتبر العنوان أهم أجزاء الرّواية الذي لا يمكن تجاوزه هكذا دون الوقوف عنده والدّلّو بما يحمله من معاني ودلالات، والملاحظ أنّ عنوان الرّواية التي بين أيدينا "سأقذف نفسي أمامك"، عنوان ذو نكهة خاصّة يحتاج إلى فك رموزه المشغولة بحرفيّة، باعتباره شفرة لغويّة اختارها الرّوائيّة بذكاء لتفتح فحوى الرّواية، وعليه سنحاول في هذه الدّراسة أن نسلط الضّوء على القراءة في عنوان "سأقذف نفسي أمامك" ل: ديهية لويز، وكيف تجسّدت الذات بين الرّاهن السّياسي والمرجعيات التّقافيّة في متن الرّواية.

بناء على ما تقدّم يتأسس المقال على الإجابة عن إشكالية محورية هي الكشف عن ما مدى توافق عنوان "سأقذف نفسي أمامك" ل: ديهية لويز مع مضمون النص؟ وهل جسّد الذات بين الرّاهن السّياسي والمرجعيات التّقافيّة التي تمثّلها المتن؟

رواية "سأقذف نفسي أمامك" هي الثانية في الرّصيد الأدبي ل: ديهية لويز، ابنة عاصمة الحمّادين



ب: بجاية، بعد رواية "جسد يسكنني" الصّادرة عن دار ثيرا عام 2012،

إضافة إلى مشاركتها في مجموعة قصصية بالأمازيغية مع عدد من الكتاب

الجزائريين والمغربيين التي صدرت عام 2013.

وحازت عام 2016 على جائزة مُجد ديب للرواية في اللغة الأمازيغية، وشاركت في العديد من التّظاهرات الأدبية بالجزائر وخارجها وخصوصا بالإمارات العربيّة المتّحدة، ثم أخيرا روايتها "إيروتومانيا" التي بدأت كتابتها عام 2016 ورحلت من دون أن تنتهيها يوم 30 جوان 2017 عن عمر يناهز 32 عاما، هكذا يخسر الأدب الجزائري ورقة أخرى من أوراق الإبداع الرّوائي، حيث تغادرنا ديهية لويز ولم تقل بعد كلمتها كاملة.

تعدّ رواية "سأقذف نفسي أمامك" ل: الرّوائية ديهية لويز، الرّواية الجزائرية المعاصرة الأولى بالعربية التي تحكي عن الرّبيع الأمازيغي، الذي سمي بالرّبيع الأسود، من خلال قصّة حب مستحيلة، وقصّة حياة مؤثرة لفتاة ظلّت تعاند قدرها، والذي ظلّ يفاجئها كلّ مرّة بمكر، وخيانة، ومفاجآت قاسية، وغريبة. جسّدت هذه الرّواية شكلا آخر من الصّراع بين الذات والتّاريخ المسكوت عنه، وبين الذات والوطن الذي ما إن يلبث يتصالح مع نفسه حتّى يعود ويتصارع معها، هي رواية تحكي عن الأحداث الدّائمة التي مرّت بها منطقة القبائل عام 2001.

2.العنوان "سأقذف نفسي أمامك" بين الصورة اللّغويّة والصّورة البصريّة

العنوان يعدّ من أهمّ البؤر النصّية التي تحيط بالنّص، كونه هو من يهبه كينونته، ويخرجه من فضاء التّخفي إلى فضاء التّجلي، فهو «يمثّل عتبة النّص التي يجب أن يخطوها القارئ في تّودة مصحوبة بقدر من التّأمل اليقظ، حتّى لا يتعثر فيها، وتتوقّف قراءته وتقتصر عن المتابعة» (المطلب، بلاغة السّرد، 2001، صفحة 18)، فالعنوان إذن هو تجميع مكثّف لدلالات النّص (منقور، 2001، صفحة 61)، أي هو عبارة عن حقل دلالي مكثّف، يفضي بالقارئ إلى النّص، ليكشف عنه كلّ الملابس التي يختفي وراءها .

والروائية ديهية لويز بوضعها العنوان "سأقذف نفسي أمامك" أخذت العبارات من مخزون لغوي مغلق، وقررت بعدها إطلاق سراحها لكي تسبح في عالم الدلالات اللانهائية، وكان القارئ وحده هو من يملك السلطة ليكشف عن هذه الدلالات، مثلما تكشف "مريم" عن طريق ذاكرتها التي مرّ عليها وقت من الزمن، وعن طريق سرّ وجودها وعن طريق هويّتها المتشظية، بين أوجاعها التي لا تنتهي، وبين الربيع الأمازيغي الذي نرف دما كثيرا، عن صفحات هذه الرواية، فالفرق الوحيد بين "مريم" والروائية "ديهية لويز" هو أنّ "ديهية لويز" تحمل القلم و"مريم" تحمل ذكريات الماضي، إلا أنّ هاتين الأداتين تتحدان معا لنقل واقع منطقة القبائل في زمن اغتيلت فيه الهوية الأمازيغية.

1.2 العنوان من الناحية اللغوية:

هو الذي نقوم فيه بتحليل البنية النحوية والتركيبية والبحث في طبيعة «الجمل داخل التركيب» (رحيم، 2010، صفحة 177)، أي نهتم فيه بالدراسة من داخل التركيب النحوي، لأنّ «التص لا يكتمل إلاّ بالعنوان، وهو تكامل قائم على أساس الإحالة البينية بين العنوان والحكاية لأنّ العنوان مبتدأ في نصّيته والحكاية إجمالا هي الخبر، العنوان مسند والحكاية (المتن) مسند إليه، وعلى هذا فإنّ العنوان يؤدّي دورا مركزيا في إنتاج القارئ لمعنى العمل ودلالته»²⁶، وهو ما سنوضحه من خلال دراسة عنوان "سأقذف نفسي أمامك" ل: ديهية لويز لغويا في الجدول التالي:

الجدول 1: البنية النحوية للعنوان "سأقذف نفسي أمامك"

س	أقذف	نفسي	أمام	ك
حرف استقبال	فعل مضارع مرفوع	مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة	ظرف مكان	ضمير متصل
مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.	بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.	على ما قبل الياء وهو مضاف والياء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.	منصوب بالفتحة وهو مضاف	في محل جر مضاف إليه.
(سأقذف نفسي) جملة فعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا				

المتمّعن في العنوان ضمن جانبه اللغوي، يجده قد جاء جملة فعلية (سأقذف نفسي) تتكون من (فعل، وفاعل، ومفعول به) في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا، وشبه الجملة (أمامك) تتكون من

(ظرف مكان، ومضاف، ومضاف إليه)، وهي في الأصل "أنا سأقذف نفسي أمامك"، جاءت جملة تفيد للآثبات، وللاستقرار، والحركة، وللانسجام، والاضطراب، وهي دلالات كلّها تنعكس على كل ما هو موجود في مضمون النص، ويتجلى ذلك في أحد المقاطع عندما تقول بطلة الرواية "مريم" «- ما جدوى البقاء في حياة ليست لنا أية سلطة عليها؟

- لماذا نتمسك بكلّ هذا الخراب الذي يستوطن بداخلنا أعواما طويلة ويتراكم مع كلّ يوم يمضي؟ كيف أفسّر علاقتي بالوجود؟ هذا إن كنت موجودة أصلا!

- طبعاً.. ما معنى وجود بلا معنى؟ وجود وكفى؟ ألا يساوي هذا الوجود في النهاية العدم؟» (لويز، 2013، صفحة 5).

كلّ هذه الأسئلة وغيرها التي تطرحها "مريم" تعكس ذلك الخراب وللاستقرار الذي لحق بمنطقة القبائل في تلك الفترة التي تبقى محفورة في الذاكرة، وذلك العمل الهمجي الذي يبقى نفسه على مرّ الزمان واختلاف المكان. كما جسدت صراع الأنثى المدانة مع السلطة الأبوية، إضافة إلى تعرّضها لصراع الحياة بين ذات الوطن المهمّشة مع المؤسسة، فقدت أثارت أسئلة عدة حول النسيان والذاكرة والحب.

ونستنتج ممّا سبق، أنّ استخدام الروائية للجملة الفعلية وشبه الجملة، يدلّ على الصّراع القائم بين المؤسسة والأمازيغ، الذين تمثّلهم البطلة مريم، التي كانت تطالب على لسانهم بالتغيير وعدم الرّضوخ للواقع المفروض عليهم، فتمردوا وانحرفوا رغبة منهم في تحقيق هدفهم المنشود هذا من جهة، والصّراع بين الأسرة ومريم، من جهة أخرى. فالصّراع إذن يطبع علاقة مريم بوطنها وأسرّتها على حدّ السّواء.

لكن مريم في النهاية لم تستطع أن تتحمّل كل هذه الأوجاع فقررت أن تقذف بنفسها إلى عالم الموت وربّما هذه هي الحرّية التي كانت تطمح إليها، ويطمح إليها كلّ الأمازيغ منذ بداية الرواية، دون التصريح بها ولكن نفهمها عندما نتمعّن كلّ صفحة من صفحات الرواية التي تتحدّث عن الموت. حيث يتجلى ذلك في معاناة الذات مريم من حالة فقدان وتشردّ وضياح وبأس جزّاء ظروف قاسية بالإضافة إلى أنّها تعيش ظاهرة ضياح وتوتر مع نفسها ومع الواقع الذي يحيط بها، وهذا ما تجلّى في قصّتها مع والدها المتسلّط الذي حاولت أن تساعدوه وهو عائد في منتصف الليل مخمورا، وانقلب عليها محاولا الاعتداء

عليها، تقول مريم عن أبيها: إنّه أصبح إنسانا غريبا عنها، تحركه الغريزة التي أفقدته التمييز بين الحب الأبوي والشهوة البهيمية. (لويز، 2013، صفحة 18)

وكادت تنسى مريم وضعها المأساوي بعد لقاءها بعمر حبيبها الذي أعاد فيها بعضا من الأمل وحب الحياة، لكن هذا البصيص من الأمل الذي عاشته في أحضان زوجها ضاع وتبخّر مع الأحلام بعد موته بسبب المؤسسة التي حرمتهم من أدنى حقوقهم، كما تقول: «رحل عمر في نفس اللحظة التي بدأت أؤمن فيها أنّ الحب يمكن أن يصنع المعجزات، في تلك اللحظة بين الحلم واليقظة، دون أن أعرف في أي حالة منهما انفلتت روحه أمامي، دون أن أرحل معه بدوري ..

ها هو القدر يعث بي مثل عادته ويجعلني أعيش أكثر من مائة يوم من الأمل، [...] أكان يجب أن أنظر مائة يوم أعيشها في الحيرة والشك بشفائه من عدمه ليسرقه الموت في نهاية المطاف؟!» (لويز، 2013، الصفحات 117-118).

كأنّ القدر لم يشأ أن يرسم على حياة مريم البائسة والضائعة في مستنقعات الظلام قليلا من السعادة لتكتشف بعد كل هذا العمر أنّها ابنة غير شرعية لحب لم يقدر له العيش طويلا، لم تعد تعرف مريم أي مستقبل ينتظرها في هذه الحياة التي لم تترك لها متنفسا، فقرّرت الخروج إلى الشارع والمشى في طريق غير معروف مستذكرة قول فرجينيا وولف "سأقذف نفسي أمامك غير مقهورة أيها الموت، ولن أستسلم"، وأنّحت روايتها بسؤال هو أنّها ماذا لو ألفت بنفسها وسط هذا الطريق الذي لا تعرف نهايته، وتعتّر جسدها بين عجالات السيارات؟ (لويز، 2013، صفحة 144)، هكذا يتجلّى الخبر المحذوف في العنوان والمتمثل في الموت داخل المتن الذي عكس القهر والظلم والتعسف الذي عانت منه الذات مريم.

وعليه تعالج "ديهية لويز" من خلال متنها معاناة صوت الذات الثقافية والراهن السياسي من خلال صوت الذات الأنثوية المختنق وعلاقته بالآخر المستسلط، إلّا أنّها في العنوان عملت على التعميم الدلالي لأنّه يخفي التفاصيل ويعمل على الحذف الصياغي، الذي يثير في المتلقي سؤال لا يمكن الإجابة عنه إلّا إذا أبحرنا في عوالم النص، ليكون السؤال الذي يروق فكر القارئ منذ إبحاره في النص هو: كيف واجهت هذه الذات الراهن السياسي؟

2.2 من الناحية الدلالية:

إذا انطلقنا من كون العنوان نصا مصغرا للنص الأصلي، أو هو مرآة مصغرة لكل ذلك التسيج النصي الذي يحمل دلالات وإيحاءات تحلّ ألباز الأحداث، فقد نستنتج جملة من الدلالات المرتبطة بالنص (رحماني، 2008، الصفحات 293-294)، وبناءً على ذلك، العنوان علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده وتغري القارئ بقراءته.

نلاحظ بدءاً أنّ الروائية حذفت الخبر وجعلته مضمرا في العنوان (سأقذف نفسي أمامك)، هي هنا تركتنا نتساءل من الذي ستقذف بنفسها أمامه؟ لكن نعود ونتساءل هي قالت أقذف ولم تقول أرمي، أو ألقى لماذا؟ لو نعود إلى معاني هذه الكلمات في العربية نجد:

1- الرمي: يستخدم في الحرب من أجل اصطلياد الفريسة أو العدو، ويتضح هذا في قوله عز وجل {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سورة الأنفال، الآية [17].

2- الإلقاء: هو رمي الشيء ثم أخذه بعد مدّة، ويقول عز وجل في هذا وهو يتحدث مع سيدنا موسى {وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} سورة طه، الآية [17 - 21].

3- القذف: هو أن تلقي الشيء ولا تأخذه، مثل: قولنا الأم تقذف ولدها من رحمها. من هنا يتبيّن لنا، أنّ الروائية وظفت كلمة القذف بدل من الرمي أو الإلقاء أمام شيء ما، لا يمكن أن تعود منه.

وقالت "نفسي" ولم تقول "جسدي"، لأنّ النفس بمثابة الخزان والصندوق لكلّ الأسرار والمكبوتات، وهو ما تجلّى في قول "ميرلوبونتي" «نحن لسنا وعيًا فقط أو موضوعا فقط، بل نحن وعي وموضوع معا وكلّ ما فينا نفس وجسد معا» (بيدوح، 2009، صفحة 7)، وفي الرواية ستقذف مريم نفسها أمام الكتابة وستبوح بعداباتها الماضية والحاضرة، تقول: «الكتابة هي متنفسي الوحيد، حقيقيتي التي أواجهها بكلّ

فسوّتها وجمالها، بكّل المنعرجات والأحاسيس التي نتحاشى حتّى التّفكير فيها وحدنا أمام المرآة» (لويز، 2013، صفحة 37)، فمن البوح والاعتراف انطلق العنوان، لتتجلّى ملامح الكشف عن المسكوت عنه، وعن الحقيقة، والاختراق لهذه العوالم السّوداء في المتن.

بعد توغلّنا في ثنايا الرّواية ووصولنا إلى نهايتها، نجد مريم (بطلة الرّواية) بعد قذف نفسها أما الكتابة تعود وتقول أنّ الكتابة ستبقى حبيسة أدراج المكتبة لهذا قررت أن تقذف بنفسها أمام الموت والموت لا يعيدنا إلى الحياة أبداً، هو نهاية لا بداية له، فالرّوائية هنا تقول لا حياة كريمة في هذا الوطن الذي يعيش بفسق دماء أبنائه، ومن هنا يتّضح أنّ العنوان صحيح جاء مفرداً، لكن هو كان بداخله يحكي عن الجماعة.

وتقول مريم معبرة عن الدّات الأمازيغيّة وردّا على والدتها التي سألتها متى بدأت تشارك في المظاهرات ضدّ المؤسّسة فأجابتها «منذ أن قتلوا شاباً في ربيع عمره [...] منذ أصبح التّعالى على البسطاء [...] منذ أن وصل الظّلم إلى أبوابنا يكسرها قبل أن يطرقها [...] منذ أن قرّرنا الخروج من صمتنا العقيم الذي دام طويلاً لنكتب بدورنا التّاريخ بأيدينا ودمنا إن لزم الأمر...» (لويز، 2013، الصفحات 48-49) هنا خرجت الدّات للالتحام بالوطن.

فالشّعور السّاري في هذا الاستشهاد النّصي يعكس القلق والألم الوجوديّين، حيث انطلقت الرّوائية من قعر الهاويّة محدّدة الظّلام والوجع الذي يلفّ الدّات، إلى البحث في سؤال الهوية الذي بات الشّغل الشّاغل للجزائريين منذ عقود من الزّمن.

لقد ثار سكان منطقة القبائل على المؤسّسة التي لم تستجب لمطلبهم في الاعتراف باللّغة الأمازيغيّة، وقاموا بمظاهرات، للتّعبير عن استيائهم، وقرروا عدم مغادرة أمكنة الاعتصام إلّا بعد الإصغاء لندائهم، لكن هذا الإصرار أدّى إلى عواقب وخيمة فقد فيها الكثيرون حياتهم.

وفي موضع آخر توكّد مريم على عزم المناضلين وإرادتهم القويّة في استعادة هويّتهم تقول: «الموت وحده كان يمكنه أن يخرس إلى الأبد أصوات هؤلاء، ويدخل الرّهبة والخوف في النفوس ويثني العزائم.. لكن لم يكن ليهزم ذلك الحماس الذي انتفض من أجل التّغيير، كلّما سالت الدّماء ازداد الإصرار على الثّار،

وازداد الحقد الأعمى» (لويز، 2013، الصفحات 58-59)، فرغم قهر المؤسسة للذات الأمازيغية ومحاولة إخماد وتنشيط حماسها، إلا أنها بقيت صامدة ومصرّة على استرداد حقّها غير آبهة بعنف السلطة. لقد واجهت مريم مشاكل داخلية (أسرية) ومشاكل خارجية (وطنية)، وعاشت صراعات هذه وتلك، لتزى في الموت الراحة والخلص للجسد المضطهد والنفس المقهورة تقول: «من أين سأبدأ لأنتقم وأعيد لجسدي الحياة رغما عنه؟ أية هزة أنشر على أوراقك كي أشفى منها؟ ومن أين سأفتح أبواب حزني لترسم لوحة أخرى للتسيان، أو ربما التناسي؟ وأيّ منهما أرحم بي؟!» (لويز، 2013، صفحة 7)، تعلن الكاتبة في مستهلّ روايتها (أي العنوان) عن قدرة البطلة للقذف بنفسها أمام عجالات السيارات وتنتهي الرواية بالعبارة نفسها، دون أن نعلم هل تخطّت التفكير واتّخاذ القرارات إلى التطبيق، وهل انتقلت فعلا إلى مرحلة التنفيذ، تقول: «ماذا لو ألقيت بنفسي وسط هذا الطريق وتعرّج جسدي بين عجالات السيارات؟» (لويز، 2013، صفحة 144).

هنا تستحضر ماذا حدث للكاتبة الانجليزية "فرجينيا وولف"¹ صاحبة عبارة (سأقذف نفسي أمامك، غير مقهورة أيها الموت، ولن أستسلم)، التي أتمت بها روايتها (الأمواج **The waver** 1931)، وهو ما فعلته ذات يوم من سنة 1941، حين قرّرت الانتحار على أن تتدهور حالتها الصحية أكثر وتفقد عقلها، «في 28 مارس 1941 حين ارتدت معطفها وملأته بالحجارة وأغرقت نفسها في نهر أوز، ووجد جسدها بعد أسبوعين² من الحادثة وقام زوجها بدفن رفاتهما واضعاً على قبرها آخر جملها في روايتها "الأمواج" التي صدرت سنة 1931 "سأقذف نفسي أمامك، غير مقهورة أيها الموت، ولن أستسلم!"» (إبراهيم، 2017).

تحكي رواية (الأمواج) حياة شخصيات عاشت الاضطراب النفسي كشخصية "رودا" التي كانت، في الحقيقة، صورة عن الكاتبة التي عاشت نوبات حادة من الاكتئاب بسبب التّكبات التي لحقت بها في وسطها العائلي (موت أمّها وأبيها وأختها)، وإصابتها بالانهيار العصبي فكانت تتوقّع سقوطها الحتمي بين أحضان الجنون فرفضت الاستمرار في الحياة وأتمتها بالانتحار غرقاً في النّهر.

توظّف "ديهيّة لويّز" كلام "فرجينيا وولف" في الصّفحة الأخيرة من روايتها، تماماً مثل رواية (الأمواج) ل: فرجينيا وولف، حيث تقف بطلتها (مريم) على حافة الطّريق وتردّد هي الأخرى «سأقذف نفسي أمامك، غير مقهورة أيّها الموت ولن أستسلم!»؛ لم تعترف السّلطة الأبويّة بهويّتها الأنثويّة ومزّقت جسدها، ولم تعترف السّلطة السّياسيّة بهويّتها الثّقافيّة وقتلت زوجها المناضل عمر، لهذا كان الموت هو الحل الوحيد بالنّسبة لها للخلاص من كلّ هذه القسوة.

صوّرت الكاتبة الحياة البائسة التي عاشتها بطلّة روايتها مريم وسط محيطها الذي لم يعرف سوى الدّم والتّشريد والموت والبؤس، والقنوط من إصلاح الأمور، ففكّرت في الموت مثل فرجينيا وولف التي رأت أنّ الحل الأمثل لها ولزوجها هو الاختفاء نهائيّاً حتّى تتفادى الجنون وفقدان العقل.

وعليه تدخلنا الرّوائيّة من خلال عنوان روايتها إلى تركيبة تقويضيّة للصّيغة التّقليديّة للعنوان، حيث أصبح العنوان (سأقذف نفسي أمامك) عاكساً للميتاسرد تاريخي الذي يستعيد ذاكرة تاريخيّة مهمّشة تكسر أفق توقع القارئ، حين يصطدم بحقائق مسكوت عنها يجب إعادة التّظر حولها، بإعادة قراءة الماضي ومراجعته واستظهار المستور

فخطاب السّاردة مريم يتوجّه من الأنا إلى الأنتم (المخاطب الجمعي)، حين تطرق باب المؤسّسة، وتتفحّص التّاريخ، وتكشف سلبية المؤسّسة، من خلال ربطها بين واقعها كأنتى وواقعها كوطن، وهو ما يعكس صراع داخلي عميق يمثّل صراع الذّات مع ذاتها، ويتطلّب جرأة كبيرة لمواجهة الذّات وفضح ماضيها، وآخر خارجي حاد يمثّل صراع الذّات مع السّلطة، ممّا يتطلّب أيضاً التّسلّح بالحكمة والتّبصّر.

عادت الرّوائيّة هنا بالذاكرة إلى عام 2001، ووضعتنا نحن كقراء في قلب الحدث وكأنا لأوّل مرة نسمع عنه ونراه، حين فتحت لنا كتاب التّاريخ وبدأت تقرأه علينا نقطة بنقطة وتنقل لنا بعض الحقائق المسكوت عنها في زمن مضى، تقول: «أتذكر كيف كان الصّباح في تلك السّنة وتلك السّنوات التي تليها كيف كان صوت الرّصاص يقتل هدوء الصّباح، ودخان القنابل المسيلة للدّموع تحيّم على سماء الأمل والحشود من الشّباب الملتهب يحتلّ الطّرق والشّوارع ليَجبر الجميع على الإصغاء إليه وإلى ما يطالب به من

عدالة وكرامة في بلده، ولكنهم في ذلك الوقت لم يعرفوا أنّ الجهة المقابلة لا تملك آذانا لتصغي بها، لا تملك سوى صوت الرصاص والعنف لتجبرهم على التخلي عن أحلامهم» (لويز، 2013، صفحة 53).

جسّدت لنا "ديهية لويز" معاناة منطقة القبائل، في هذه الفترة التي نزلت فيها الكثير من الدماء وأضافت رؤى جديدة على المضامين التي قوّضت القيم، والتاريخ، والهوية حتّى الكتابة، عن طريق تشكيل جماليّ يعبر عن الزّاهن ويساير تحولاته وفق بناء خاص، يسلط الضوء على الذات الأنثوية والأمازيغية في آن، وما عانته على الصّعدين الضيق والواسع من قمع وتهميش وإقصاء، ممّا دفع بها إلى التفكير في الانتحار.

وكلّ تساؤلات مريم حول الثقافة والهوية والوطن والسلطة والسياسة، تمثّل بنية استعارية تؤطر كلّ الرواية، كأن البطلة تحكي ذاتها التي تتقاطع مع معاناة الذات الأمازيغية، فتكون "ديهية لويز" بهذا الشكل قد تجاوزت الصيغة النمطية التي تتكرّر في جلّ الروايات النسائية، حول فحولة الرجل واستضعاف المرأة، إلى قضية وطنية هي تزيف التاريخ.

العنوان كعبارة لم نشهد له حضورا في الرواية إلّا مرّة واحدة في آخر صفحة حين استحضرت مريم لتعبّر به عن مأساتها التي لم تجد من يخرجها منها، فقالت: «سأقذف نفسي أمامك، غير مقهورة أيّها الموت، ولن أستسلم» (لويز، 2013، صفحة 144)، أمّا دلالاته الرّامزة والموجّهة فهي تغطّي كلّ صفحات الرواية، فهو برنامج تعاقد يوجّه أفق القارئ، جاء كمعادل موضوعي يعكس كلّ ما هو مسكوت عنه.

فالروائية أرادت هنا أن توضّح كل ما هو ليس واضحا (فساد القيم، تزيف التاريخ، الزّاهن السياسي، تشظّي الهوية) فاختارت الكتابة أن تكون سلاحها الفاضح لكل هذه الأسرار الغامضة، لكن مع ذلك حتّى الكتابة لم تحقّق لها الشّيء الكثير سوى أنّ تخلّد معاناتها في ذاكرة الورق التي ربما تبقى في طي النسيان.

ومنه يمكن أن نقول إنّ العنوان كان رمزيّا متطابقا إلى حدّ بعيد مع المضمون في الوقت نفسه، وقد أسهم في تشكيل عالم يمزج الواقع بالرمز والحلم الذي لم يكتب له الخلود، فعنوان (سأقذف نفسي أمامك)

إذن، يمثّل حقلاً دلاليًا رئيسًا مكثفًا بمجموعة من الدلالات، التي توزعت عبر مشاهد النصّ الروائي المشتغل عليه.

3. تجلي الذات الأمازيغية وأحداث الربيع الأمازيغي

1.3 الذات الأمازيغية:

القارئ للعنوان (سأقذف نفسي أمامك) يمتلكه شعوران، شعور بالمتعة فهو يقف أمام عنوان فيه من التلقائية والبساطة الكثير، وشعور آخر بالحيرة والتساؤل هل هذا العنوان يعكس مظهرات الذات بين الراهن السياسي والمرجعيات الثقافية؟، فهو عنوان تمّ صياغته بأسلوب يغوص في أعماق النفس المعذّبة. ونحن مبشرين في المضمون وجدنا مريم وكلّ ذات أمازيغية تتساءل بحيرة لماذا الصّراع والتّطاحن حول حقّ الإنسان في الحياة الكريمة؟ ولماذا هذا الوطن الذي نحن أحد أبنائه يتبرأ منّا؟، وعلى هذا الأساس نجد العنوان يشتغل في مضمون الرواية على «تخميم كلفة الذات بالتبش في ماضيها الذي سرعان ما يشكّل ذاتا أخرى، فتكمن مأساة الذات فيها من كون هذه اللغات محايثة لها ومنفصلة عنها في الآن نفسه» (الكاس، 2013، صفحة 71)، فالمبتدأ المحذوف الذي جاء تقديره بضمير "الأنا" في العنوان هو ذات متعدّدة في المتن تعكس الوضع المأساوي لامرأة قبائلية تعاني من جرّاء السلطة الأبوية من جهة، والوضع المأساوي لوطن يعاني من جرّاء السلطة السياسية التي تستعمل الرصاص ضد أبنائها الشّباب من جهة أخرى. من هنا نستطيع أن نربط العنوان الذي يحمل عدّة دلالات بالوضع الذي آلت إليه مريم وكلّ الأمازيغ نتيجة العنف، وبالتالي تكون "ديهية لويز" نجحت هنا باتّباع هذا الأسلوب في الكتابة واستعارتها هذا العنوان.

وعلى هذا الأساس نجد العنوان والرواية يحملان عدّة تحليلات تعكس الوضع المأساوي التراجيدي الذي آلت إليه منطقة القبائل بسبب الراهن السياسي الذي لا يصغي إلّا للرصاص الذي نحر أبناء الوطن كأكبّاش فداء تقدّم قرايين للمؤسسة.

يبدو أنّ العنوان يحمل بعدا إنسانيا قبل أن يكون ذات بعد تاريخي، لأنّه يرمز إلى قضايا تمسّ كينونة الذات الإنسانية، من حب/ وكره، وسعادة/ وحزن، وأمل/ ويأس، وحياة/ وموت وغيرها، فكلّ هذه

القضايا هي جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان وعالمه. وقد سعت الروائية إلى نزع اللثام عن معاناة المجتمع وسلبية نظام الحكم الذي نخر عظام الأفراد والمناطق المعتمدة من تاريخ الجزائريين.

"ديهية لويز" هي الأخرى تمثل هنا، في هذه الرواية كل ذات جزائرية تغار على هويتها، ووطنها، وتاريخها، لها طموح في الكشف عن كل الصفحات السوداء في التاريخ الجزائري، ووضعتها أمام العيان حتى يكونوا شاهدين عليها.

2.3 أحداث الربيع الأمازيغي وعلاقتها بالعنوان:

يعدّ التاريخ الموضوع الرئيس للرواية، حيث جسدت الكاتبة إحدى اللحظات التاريخية الهامة التي غصّ الطرف عنها، كونها في اعتقاد الأغلبية قضية جهوية لا تهمّ كلّ الشعب الجزائري وإنما تخصّ فئة دون غيرها، طرحتها "ديهية لويز" من جديد ووضعتها في مسارها الحقيقي حيث كشفت عن التاريخ المسكوت عنه، الذي يخفي حقيقة الهوية الوطنية تحت لواء الوحدة وكانت أحداث الربيع الأسود، التي سرقت الكثير من الأحلام والآمال، هي من كشفت عن الزيف الذي اعتري التاريخ، فهذا الربيع هو لحظة من اللحظات التاريخية الدائمة، وهو في حقيقة الأمر امتداد لربيع 1980، وتقول عنه مريم: «كان ربيع 2001 فصل الحب والورد والجمال، الفصل الذي تنتعش فيه القلوب بعد شتاء الجفاء.. لكن هذه المرة بالتحديد كان مختلفاً، لم يحمل في ثناياه سوى الألم، الدّم الذي سال كثيراً دون أن نفهم تحديداً السبب من ذلك، ولا من كان وراءه» (لويز، 2013، صفحة 47)،

لقد خلّفت هذه الأحداث أثارا نفسية شديدة، فقد فجّرت الذات من الداخل وأدخلتها في قاع من الحزن العميق والألم، وهي أفانيم تمثل الاغتراب الداخلي، فلم يكن متوقّعا أن يملأ الدّم كلّ الأماكن ويستولي الرعب على كلّ النفوس، فيسير البشر نحو المجهول.

يمكن أن نقول بأنّ العنوان نقطة التقاطع الإستراتيجية التي يعبر منها النصّ إلى الذات وإلى العالم، «فيكمله ولا يختلف معه ويعكسه بأمانة ودقة» (مرتاض، 1975، صفحة 277) فيهتدي به القارئ وهو يجول ويصوّل في مساحة النصّ، (سأقذف نفسي أمامك) عنوان تراجيدي، ينقد واقع المجتمع الجزائري وفق

مسار سرديّ يحكي مأساة مريم كذات أنثويّة تسرد أوجاع طفولتها، وكذات ثقافيّة أمازيغيّة تسرد وقائع الرّبيع الأسود الذي أسال الكثير من الدّماء وخلف الكثير من الموتى.

تقول مريم: «كيف يمكن للرّبيع أن يغيّر من حلّته هكذا، ويتحوّل من أجمل الفصول إلى بركان مدمّر لا يخلّف وراءه سوى الرّماد؟ أن يتغيّر من ظاهرة طبيعيّة إلى ظاهرة بشريّة بأسوأ كوارثها الممكنة؟ هكذا كان ذلك الرّبيع» (لويز، 2013، الصفحات 52-53)، كان ربيعاً دامياً، ربيعاً حزيناً، ربيعاً مأساوياً عمّ فيه القتل، والدّم، والخراب.

لم يُحدث هنا ربيع 2001 تفكيكا وتقويضا على مستوى التّاريخ الجزائري المعاصر المزيف والدّامي فقط، بل أحدث تفكيكا وتقويضا آخر على مستوى الكلمة ومدلولها، لأنّه ما حدث لم يكن ربيعاً تنبثق منه الحياة، وإنّما كان خريفا أسقط أوراقه في متاهة الظّلام الذي لا نور له، أو في متاهة شتاء غاضب يطرّ دما، لا يريد السّماع إلّا لطرف واحد هو المؤسّسة بأجهزتها، وهو ما مثّله العنوان من خلال الحمولات الدلاليّة التي يحملها في طياته وتعني في كل الأحوال الموت الذي يتمدّد ثقلا في كل صفحات الرواية.

إذن العنوان يعدّ «أحد الركائز الأساسيّة التي يبنى عليها النّص، كونه لم يعد يقتصر على البنية اللّغويّة فحسب بل تعداها إلى البنية البصريّة أو البنية الدلاليّة، لما يحمله في مضامينه من جمال فنيّ، لأنّ النّص هو المولد الفعليّ لأبعاد العنوان الدلاليّة والفكريّة، ووفقا لتناصيّة العنوان مع النّص، أي كلّ من العنوان والنّص يشكلان معادلا موضوعيّاً كبيراً، فالعنوان أصبح مكوّن دلالياً، ومكوّن بصريّاً مهمّاً في فضاء الغلاف، لما يحمله من تقنيّات تلفت انتباه القارئ، الذي يقوم فيما بعد بالبحث عنها، وكشف دلالاتها المخبّأة» (بوختاش، 2017، صفحة 89)، وهذا ما جسّده عنوان رواية "سأقذف نفسي أمامك" الذي يحمل العديد من الدلالات والثنائيات التي لعبت فيها اللّغة بانسياباتها دورها بامتياز.

4. الخاتمة:

بناء على ما تقدّم نكتشف أنّ عنوان الرواية التي بين أيدينا بجميع تفرّعاته، يشكّل جهازاً تحديّثياً يساعد القارئ على فضّ الإشكالات التي يطرحها النّص من منطلقات العلاقات التي تنشأ بين العنوان والنّص على مستويات عدّة، وعليه يتّضح أنّ عنوان رواية (سأقذف نفسي أمامك):

- جاء متمردًا على العنوان الكلاسيكي الذي يرفض اقتحام المناطق الممنوعة، حيث قوّض كلّ ما هو مألوف بكشفه عن المسكوت عنه، المتمثل في بوح الأنثى عن عنف الأب واعتدائه عليها، وبوح الذات الأمازيغية عن عنف السلطة واعتدائها على المئات من المتظاهرين في شوارع مناطق القبائل.
- مثل انفصالا بين الذات الثقافية والسياسة، وصراعا قائما بين الذات الأمازيغية والمجتمع والتاريخ والنظام وهو ما يعكس الرفض والتمرد على السياسة.
- جاء تعبيرًا عن ذلك الإجرام الذي مارسه كلّ من الرجل والسياسة على المجتمع من خلال شخصية مريم التي طرحت أسئلة الوطن والتاريخ، ولامست قضايا المرأة.
- لمسنا فيه السعي الحثيث إلى التحرّر من أغلال الصمت، وقول المخبوء على الصّعدين الأنثوي والتاريخي أو السياسي.
- استطاعت الروائية أن تمدّ بظلاله في المتن، وهي تعرض الأحداث، ممّا جعلها تأخذ بيد المتلقي، وتنقله من العنوان إلى النص الذي يحكي الهوية الأمازيغية المقصاة من التاريخ الجزائري وعنف السلطة على هذه الذات، وعليه يصبح العنوان جزءًا من الرواية ودلالة مختزلة لفحوى النص.

5. قائمة المصادر المراجع:

المؤلفات:

1. ديهية لويز، (2013)، سأقذف نفسي أمامك، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت.
 2. سميرة بيدوح، (2009) فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس.
 3. سناء بوختاش، (2017) تجليات الفضاء الزمكاني ودلالاته في الخطاب الروائي (دراسة نقدية)، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
 4. عبد القادر رحيم، (2010)، علم العنونة، دار التكوين، دمشق، سوريا.
 5. عبد المالك مرتاض، (1975)، تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق). ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
 6. محمد الكاس، (2013)، الذات والرواية (قراءة في تخطيطية التشكيل الدلالي)، البوكيلي للطباعة والنشر، القنيطرة، المغرب.
 7. محمد عبد المطلب، (2001)، بلاغة السرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- ### المداخلات:
8. عبد الجليل منقور، (2001)، "المقاربة السيميائية للنص". أدوات ونماذج محاضرات الملتقى الوطني الأول (السيميائيات والنص الأدبي)، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
 9. علي رحمان، (2008)، "سيميائية العنوان في رواية محمد جبريل" محاضرات الملتقى الدولي الخامس (للسيميائية والنص الأدبي)، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

مواقع الأنترنت:

10. محمد. عيد إبراهيم، (2017)، "لماذا انتحرت فيرجينيا وولف؟"، من www.moheet.com/details_article/2014/09/02/2132975/.html، (2 - 10 - 2017).

¹ فرجينيا وولف من مواليد 25 جانفي 1882 بلندن، تعدّ من أهم الكتاب الحداثيين في القرن العشرين، انتحرت في 1941 في التاسعة والخمسين من عمرها وتركت رسالة لزوجها تشرح فيها سبب لجوئها إلى الانتحار: (أنا متأكدة أنني سأصاب بالجنون ...) إنني أسمع أصوات ولا يمكنني التركيز، لذلك سأفعل ما يبدو أنه أفضل شيء يمكن فعله). من كتبها: السيدة دالوي. Mrs Dalloway (1925) غرفة فرجينيا وولف. A room of one's own (1929). والأمواج (1931) (The waves). وليونار وولف Leonard Woolf.